الشذوذ

في النظام الشمسي

لامين البرجاني

ان في الارقام الفلكية لغير علماء الفلك نوعاً من السحر ، وان في السحر ، كما في اللاهوت مثلاً ، ما لا يُدرك بغير النعمة والايمان. فمن الحقائق الاولية في النظام الشمسي ان ادنى السيارات من الشمس هو عطارد ، وابعدها نبتون . اما بُعد الاول ، في حساب الفلكيين ، فستة وثلاثون مليون ميل ، واما بُعد الثاني فالفان وثمانمائة مليون من الاميال

هذا مثال صغير من الارقام الفلكية السحرية ، وما انا بالفلكي ولا بالساحر لأتورط فيها . اني اذن اعود بالقارىء الى المدرسة ومثلها البسيط . فالشمس التي تبدو لنا كالبرتقالة الكبيرة تتراءى للنبتونيين — ان كان ذلك السيار مأهولاً — كزهرة من البنفسج او السوسن . وبكلمة اخرى ، بسيطة وفلكية معاً ، ان بُعد نبتون عن الشمس — بعده المتوسط — هو سبعة وسبعون ضعفاً لبُعد عطارد . اما المسافة بين الارض والشمس فهي نحو ثلاثة اضعاف المسافة بينها وبين عطارد . ثلاثة اضعاف لا غير . فتأمل البُعد الاقصى ، بُعد نبتون

وليس الفضاء بين السيارين فارغاً . فان هنالك سيارات اخرى ، اكبرها المشتري ذو الاقمار التسعة ، وهو يبعد عن الارض خمسة اضعاف بُعد الارض عن الشمس . مما يزيدك علماً — او ايماناً — ببُعد نبتون . ولكن الغرض من هذا المقال هو غير نبتون ، وغير الارض

من الحقائق الاولية الاخرى ، التي لا تخفى على طلاب هذا العلم الجليل ، ان السيارات التي تدور حول الشمس تقسم قسمين : الصغار ، اي عطارد والزهرة والارض والمريخ ، والكبار الجبارة ، اي المشتري وزحل واورانوس ونبتون

وهاهنا استوقف نظر القارىء . فان بين السيار الاخير من القسم الاول والسيار الاول من القسم الثاني اي بين المريخ والمشتري ، مسافةً شاذةً لا تشبه في نسبتها المسافات التي تفصل بين افلاك السيارات الاخرى

وبكلمة اجلى ان بين المشتري والمريخ فضاء هو نحو اربعة اضعاف الفضاء الكائن بين الارض والشمس . وان في هذا الاخير ثلاثة سيارات ، وليس في ذاك سيار واحد . فما السبب في ذلك ؟

ما السبب في خلو الفضاء بين فلكي المريخ والمشتري من السيارات ؟ وما السبب في شذوذ النسبة السابقة في المسافات ؟ فاذا مثلنا بُعد عطارد عن الشمس بالرقم ٤ ، فبُعد الزهرة يكون ٨ ، وبُعد الارض ١٢ ، وبُعد المريخ ١٦ ، ثم تضيف وحدة واحدة الى ٦٠ اي بُعد المشتري . وبعد السين تعود الى النسبة الاولى ، لان بُعد زحل عن الشمس هو ضعفا بُعد المشتري ، وبُعد أورانوس هو ضعفا بُعد زحل ، وبُعد نبتون ضعفا بُعد أورانوس . كل ذلك بالتقريب

فالفضاء الشاذ عن هذه القاعدة هو اذن بين المريخ والمشتري . وقد كان يظن الفلكيون ، قبل ان اكتشف السيار السابع اي أورانوس في سنة ١٧٨١ م . ، ان ليس بين ذينك السيارين أثر لشيء من الكائنات السماوية . فقد ظنوا ذلك الفضاء خالياً خاوياً

مساحة تربي على الثلثمائة مليون من الاميال ، وليس فيها ما تعز به المذنبات ، او تساقط عليه النيازك والشهب ، او ما يسري حوله ، على الاقل الاثير . فهل هي البيداء الكبرى في السماء ؟ هل هي الربع الخالي في النظام الشمسي ؟ هو ما كان يعتقده علماء الفلك قبل القرن التاسع عشر

ثم جاء كولمبوس السماوات بالخبر اليقين . جاء احد المكتشفين لما وراء الآفاق الفلكية بحقيقة فلكية جديدة . فان في الليلة الاولى من الشهر الاول من القرن الماضي (١ يناير ١٨٠١) تراءى للفلكي الصقلي پيازي ، حينما كان في مرصده يرصد النجوم ، أن ساعياً واحداً يسري في تلك البيداء — يعاوف وحده في ذلك الربع الخالي ، بين المشتري والمريخ

في تلك الليلة اكتشف پيازي الصقلي اولى نجمة من النجوم التي تدور حول الشمس مع السيارات ، وأسماها سريس (Ceres)

ليس ذلك الفضاء ، اذن فارغاً ، بل ان هنالك نجوماً عديدة اكتشفها بعد پيازي غيره من الفلكيين ، وقد بلغ عددها الف نجمة او تزيد . على انها صغيرة جداً بالنسبة الى السيارات ، فقطر اصغرها عشرة اميال فقط ، وقطر اكبرها ثلاثمائة وعشرون ميلاً . فلو جمعت هذه النجوم — هذه النجيمات — وضمت بعضها الى بعض لما تجاوز حجمها ربع حجم الارض

هذا هو الموضوع الذي مهدت لهُ بكلمة فلكية وجيزة ، فما هي حقيقة هذه النجوم الدخيلة في النظام الشمسي ؟ وما السبب في وجودها في تلك المنطقة الشاسعة بين المشتري والمريخ ؟ ليس بين المناطق الشمسية الاخرى ما هو شبيه بها

هي ذي شاذة القاعدة ، بل هو ذا الخلل في النظام الشمسي المشهور . فهل هو الدليل على ان هذا النظام ليس بأبدي ولا بازلي ؟ هل هو الدليل على ان للاكوان ، في عرف العلم ، بداية ونهاية ؟ — بداية في السُدُم ، ونهاية في النيازك والشهب ؟ — بداية هي الحياة المتكوّنة ، الآلية وغير الآلية ، النطقة والميكانيكية ، ونهاية هي التفكك ، والخلل ، والفوضى ، والاضمحلال ؟

تلك النجوم الصغيرة بين المريخ والمشتري هل هي شتات من الشهب ام سرب من الاقمار

الاطفال ؟ هل هي شظايا سيار محطَّم ؟ هل هي الآثار تتجمَّر اولما اصطدم في جادة الافلاك ؟ هل هي ارض مثل ارضنا ادركها هادم اللذات ، ومفرّق الجماعات ؟ هل هي سيار مثل سيارتنا تعددت فتجمّرت براكينها ، فتطايرت نيازكها ، فتقلصت ثم تقلصت حتى اختلَّ فلكها فتحطمت بشقيقة لها هناك فتحطمت ، تفتتت ، فأمست نجوماً صغيرة ؟ ام هي بقايا من السديم الذي بدأ منذ مليون من السنين يتكون اطواقاً حول المشتري كالاطواق التي تطوق زحل ، فتغلب المشتري في دورته السريعة عليها ، عملت جاذبيته فيها ، فحالت دون ائتلافها ؟

تلك النجيات ، هل هي لسيار ما تم تكوُّنه ، ام هي الآثار لسيار تكسر بعد التكوُّن ؟ هل هي الجنين المقتول ، ام هل هي العظام المبعثرة في المدفن الشمسي ، بين المشتري والمريخ ؟

تلك النجيات (Asteroids) هل هي ما تبقى من أرض مثل ارضنا ؟ وهل نحن صائرون مصيرها ؟

وماذا يكون من ادراك الانسان عندما تدركنا يد الدمار والفناء ؟ هل يبلغ العقل البشري حدًّا من القوة والقوة بعيداً ، فيتمكن من تدارك انكارثة الكبرى ؟ هل يسيطر العقل البشري على الناموس الاعلى ، فيدفع عن الارض تلك الاخطار التي تحيق بالسيارات والشموس ، بل بالاكوان اجمع ؟ ام هل تصير هذه الارض من النجيات ، بعد ان كانت من السيارات ؟

هل نصير في خبر كان ، فتدفن وأبناءها في قلب الشمس ؟ اذا كانت النجيات الكائنة بين المريخ والمشتري تدل على خلل في النظام الشمسي ، فالحادث الذي سبب هذا الخلل يحدث مرة اخرى . وليس من المستحيل ان تتقلص الارض ، اذا ما انطفأ كل ما في جوفها من النيران ، فتضعف جاذبيتها ، فيختل فلكها ، فتصطدم بالمريخ او الزهرة ، وعسى اليارات ، او ما تبقى منهما ، من اعضاء جمعية النيازك الشمسية

ان النيازك والشهب التي تصطدم حول الشمس ، وتتساقط دوماً عليها ، فتعوضها من الحرارة التي تستهلكها السيارات — النيازك والشهب التي تدخل النظام الشمسي ، بعد ان تجتاز ما دونه من المسافات ما هو اضعاف المسافة بين نبتون والارض — أن تلك الشهب والنيازك لتنبيء بالنزاع الدائم ، والخلل المستمر ، في الكائنات ، وراء آفاق كوننا المعروف . فهنالك مذنبات تغير طرقها ، وكواكب تهجر افلاكها ، وسيارات تُنكب النكبة الكبرى أثناء تكونها او في حياتها وجاذبية تقوى على شقيقاتها ، وشموس تبرد فتفقد سياداتها ، وأقمار تموت فتضم الى احضان امهاتها

ان النيازك والشهب لنبأٌ من عالم الخلل والفوضى إلى عالم نظامهُ ينشأ من الخلل والفوضى فهل ينتهي كذلك يا ترى ؟

لله من أهوال الفكر والمنطق التي تتجسم في المراصد الفلكية . لله من علم يرينا تلك الآثار السماوية المفجعة ، الشبيهة بآثار الامم البائدة في هذه الارض ، المنبئة بالبداية والنهاية لكل شيء ، المثبتة أن النظام الفلكي مثل النظم البشرية ، لا يخلو من الشذوذ ، والخلل ، والفوضى

وان لكل خلل فيه فاجعة ، وان لكل شاذة مأساة